Dirasat: Human and Social Sciences, Volume 51, No. 3, 2024

Deanship of Scientific Research

Ibn Rashiq's *Al-Omdah* and Al-Nahshali's *Almumte'* between Originality and Influence: A Comparative Study

***Ala Mohammad Shdouh* ***

General Education and Foundation Program, Rabdan Academy, Abu Dhabi, UAE.

Received: 8/6/2022
Revised: 21/10/2022
Accepted: 7/6/2023
Published: 30/5/2024

* *Corresponding author:*
ashdouh@ra.ac.ae

Citation: shdouh, A. M. . (2024). Ibn Rashiq's Al-Omdah and Al-Nahshali's Almumte' between Originality and Influence: A Comparative Study . *Dirasat: Human and Social Sciences*, *51*(3), 460–470. https://doi.org/10.35516/hum.v51i3.1347

© 2024 DSR Publishers/ The University of Jordan.

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

Abstract

Objectives: This study aims to thoroughly explore *Al-Omdah in the Beauties of Poetry: Its Literature and Criticism* by Ibn Rashiq Al-Qayrawani and *Almumte'* by Abd Al-Karim Al-Nahshali. It aims to compare and contrast the two books and to examine forms of influence in the student's work. The most important research question that this study aspires to answer is: Does what the two authors' works have in common represent influence or literal copying?

Methods: The study relies on the investigative method, pointing out multiple points of similarity between the two books. It also adopts an analytical and comparative approach through which the texts are analyzed and percentages of similarities and differences as well as additions and omissions are estimated and justified. Moreover, some historical and social facts that pertain to both authors are used as important factors in achieving the study's results.

Results: The study proves that Ibn Rashiq and his student Al-Nahshali shared many social and historical circumstances, which justifies the mutual influence between them. It also demonstrates that Ibn Rashiq, as he states in the introduction to his book, quoted many critical and other issues from several critics, especially Al-Nahshali. Ibn Rashiq's literary borrowing takes a variety of forms; the most dangerous of which is copying.

Conclusion: The study reveals that Ibn Rashiq's several literary borrowings from his teacher without acknowledging his source does not undermine the literary value of his works or render him a plagiarist. However, the study perceives the importance of referring to this kind of borrowing when it comes to a prominent Arab critic like Ibn Rashiq.

Keywords: Influence, *Al-Omdah* by Ibn Rashiq, *Almumte'* by Al-Nahshali, Comparison, Originality.

كتابا العمدة لابن رشيق والممتع للنهشلي، بين السّبق والأخذ: دراسة مقارنة

علاء محمد شدوح*

قسم التعليم العام والتحضيري، أكاديمية ربدان، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة

ملخّص

الأهداف: يهدف هذا البحث إلى دراسة كتابَيْ: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده لابن رشيق القيرواني والممتع لعبد الكريم النهشلي ودراستهما دراسة دقيقة وفاحصة. وتهدف الدراسة إلى تبيان مواطن الاختلاف ومواطن التشابه في الكتابين، وتبيان أخذِ التلميذ عن الأستاذ مع تحديد أشكال هذا الأخذ. ويهدف البحث أيضا إلى الإجابة عن مجموعة من التساؤلات أهمُّها: هل الذي كان بينهما - القيرواني والنهشلي - تأثر وتأثير أم نسخ ولصق؟

المنهجية: اعتمد البحث المنهج الاستقصائي، ومن خلاله جرى رصد مواطن التشابه في الكتابين على كثرتها. واعتمد أيضا المنهجين التحليلي والمقارن اللذين من خلالهما تم تحليل النصوص وقياس نسبة التشابه والاختلاف والزيادة والنقص فيها مع بيان المبررات لذلك. أضِفْ إلى ذلك الإفادة أيضًا من بعض الحقائق التاريخية والاجتماعية التي تَخُصّ مُؤَلِّفَيّ الكتابيْن حيث إنها كانت عوامل مهمة للوصول إلى نتيجة البحث.

نتائج البحث: وجد البحث أن ابن رشيق وتلميذه النهشلي يشتركان في أمور اجتماعية وتاريخية كثيرة، وكان هذا سبب من أسباب التأثر والتأثير بينهما. ووجد أيضا أن ابن رشيق صرّح في مقدمة كتابه نقلَه عن نقاد كثر، لا سيما النهشلي الذي أخذ عنه الكثير من الموضوعات والقضايا النقدية أخذا متنوع الأشكال أخطرها هو النقل الحرفي دون توثيق.

الخلاصة: ما توصّل إليه البحث في أنّ ابن رشيق نقل حرفيًا – في كثير من المواطن - عن شيخه دون أن يوثق، لا يعني أنه ينتقص من شأنه، لكنّ البحث ارتأى أن من الأهمية بمكان الإشارة إلى هذا النوع من الأخذ عند ناقد عربي قديم له صيتٌ ذائع.

الكلمات الدالة: الأخذ، السبق، العمدة لابن رشيق، الممتع للنهشلي، مقارنة.

المقدمة:

الحمد لله حمدًا كثيرًا تزيدُ به النّعم، والصلاة على رسوله الكريم صلاة تدفع النقم، وأشهد أنْ لا إله إلا هو وبعد:

فإنّ البحثَ سيقارنُ بين كتابيّ العمدة لابن رشيق والممتع للنهشلي، مقارنةً تعتمدُ على معلومات وحقائق تاريخية واجتماعية وموضوعية وحتى نفسية من أجل الوصول إلى نتائج منطقية ومقبولة. ومن خلال المنهج الاستقرائي الذي يستند في تحليلاته إلى الملاحظة والتجربة وافتراض الفروض من أجل استنتاج الأحكام العامة، ستقفُ الدراسةُ على مواطن التشابه والاختلاف في الكتابين وعلى المواطن التي أخذ فيها التلميذ ابن رشيق عن أستاذه النهشلي، وستُصنّفُ -أيضًا- هذا الأخذ إلى أشكال عدّة.

وعلى ما تقدّم، سيكون البحث في ثلاثة فصول: الأول سيقدم تعريفًا بابن رشيق القيرواني وعمدته وعبد الكريم النهشلي وممتعه. والثاني سيبين العلاقة بينهما والعلاقة بين الكتابين وسيجلّي ما احتوى عليه كلٌ منهما من معلومات وقضايا ومصطلحات نقدية وسيكشف عن أي الناقدين كان أسبق لهذه المعلومة أو تلك. أما الفصل الثالث فسيرصد ما أخذه ابن رشيق القيرواني عن تلميذه النهشلي وسيصنّف هذا الأخذ إلى أنواع متعددة، وسيُذيّل البحثُ بمجموعة من النتائج.

الفصل الأول: ابن رشيق القيرواني وعمدته، وعبد الكريم النهشلي وممتعه.

أ- ابن رشيق القيرواني:

هو الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، ولد بالمسيلة سنة (385هـ) وتأدب بها قليلًا، وكان أبوه مملوكًا روميًا من موالي قبيلة الأزد، وكان يشتغل بالصياغة، ثم ارتحل إلى القيروان سنة (406هـ) وعُرف بها، ومدح صاحبها المعز بن باديس المنصور، ثم هاجر إلى الأندلس، واستقرّ بمآزر، وهي بلدة بجزيرة صقلية، وبقي هناك حتى وافته المنية عام (463هـ).

صنّف ابن رشيق عددًا من الرسائل منها: رسالة قطع الأنفاس، رسالة نجح الطلب، رسالة قراضة الذهب، الرسالة المنقوضة، وكتاب أنموذج الشعراء (شعراء القيروان)، والعمدة. ولابن رشيق باعٌ طويلٌ في النقد والأدب واللغة والسّير والأخبار وعلوم اللغة، انظر على التوالي: (الشنتريني 1979، ج4، ص44، ص597)، (خلكان 1969، ج1، ص 366)، (الحموي 1900، ج8، ص 110)، (السيوطي 1950، ص 220). وفضلًا عن ذلك له شعر كثير منثور في كتاب العمدة وغيره، وقال في مختلف الأغراض من المديح والهجاء والوصف والغزل الرقيق (الدبل 2010، ص 200).

أقام ابن رشيق في عدد من المدن التي تميزت كل منها بظروفها الخاصة، وهي المحمدية، القيروان، صقلية (ضيف 1992، ص 131) وكان أول المصادر التي استقى منها ابن رشيق ثقافته القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، فقد أثرا في ثقافته، ودخلا في صميم حياته. وعندما نقرأ كتابات ابن رشيق وما روي عنه من أخبار، يتبين لنا أنه تتلمذ على أيدي خيرة من الشيوخ والأدباء والنقاد فأخذَ عنهم مشافهةً أو مناقشةً أو إملاءً ودراسة، ومن هؤلاء الشيوخ: "أبو عبدالله محمد بن جعفر القزاز القيرواني النحوي من أهل القيروان، والأديب أبو محمد عبد الكريم بن إبراهيم النهشلي" (القيرواني 1972، ج1، ص 14). ومن جهة أخرى فقد أخذ ابن رشيق ونقل عن زُمرةٍ من النقاد القدماء أقوالهم وآراءهم، وفي كثير من الأحيان لم يكن ابن رشيق يكتفي بالنقل، بل شرح وفسّر وعلّق، وكان له رأيه الخاص ببعض القضايا والمصطلحات النقدية، فمن النقاد الذين أخذ عنهم ابن رشيق: ابن

سلام الجمحي (ت232هـ) والجاحظ (ت 255هـ) وابن قتيبة (ت 276هـ) وعبدالله بن المعتز (ت 296هـ) وابن طباطبا (ت 322هـ) وقدامة بن جعفر (ت 337هـ) وعلي بن هارون المنجم (ت 352هـ) والآمدي (ت 370هـ) والجرجاني (ت 471هـ) والرّماني (ت 384هـ) والعسكري (ت 395هـ) وغيرهم. وقد أشار ابن رشيق الى أخذه من بعض هؤلاء النقاد صراحة في عمدته (القيرواني 1972، ج1، ص94، ص 216). وكان لهذا الأخذ من النقاد القدماء الأثر الكبير في شخصية ابن رشيق النقدية والأدبية وحتى الشعرية.

يُلاحظ مما سبق أنّ ابن رشيق القيرواني اتخذ من الآراء والأفكار التي نقلها عن النقاد القدماء، منهجيةً نقديةً اتّسم بها نقده، التي يمكن أن نسميها نقد النقد. وربما كانت هذه المنهجية سببًا في انطلاق سهام الناقدين إليه، حيث أعدوها مأخذًا عليه لا يتعدى فيها دوره الجمع والنقل، وأنه لم يكن يمتلك شخصية نقدية لها خصوصيتها في تحديد المصطلح وتفسير القضية.

والباحث هنا قد لا يتفق نسبيًا مع هذا الكلام، لكنّ مرادَه هو الكشف عن الأخذ عند ابن رشيق من شيخه النهشلي وبيان أنواع هذا الأخذ وتفسير أسبابه، لا سيما أن نقل ابن رشيق عن شيخه النهشلي دون توثيق هو أحد أنواع الأخذ المهمة عنده، الذي أثار كثيرًا من التساؤلات حوله. ومن جهة أوضح، فقد اعتمد ابن رشيق على شيخه النهشلي وآرائه وأفكاره اعتمادًا كبيرًا أكثر من غيره، وقد يعود هذا إلى المدة التي قضاها معه فاستمد منه ثقافته النقدية العريضة المبثوثة في كتابه (الممتع في صنعة الشعر) مما كان لهذا الأثر الكبير في طبيعة الموضوعات النقدية الموجودة في كتاب العمدة.

فالعمدة كتاب قيم اتّسم بالشمولية العامة، ورسم صاحبُه معالمه من معرفته بكتب غيره، وجمع فيه مباحث البلاغة ومباحث النقد الأدبي مع معلومات متفرقة في تاريخ الأدب. ويرى شوقي ضيف أن "قيمة العمدة تأتي من دقة جمعه للآراء المتقابلة في فنونها المختلفة" (ضيف 1992، ص 131). وقال فيه مصطفى صادق الجويني: يمتزج في العمدة النقد مع البلاغة مع غلبة البحث النقدي. وكما كانت البداية في الجاحظ فالنهاية بابن رشيق

(الجويني 1985، ص8)، وعلى هذا يبقى العمدة من المنجزات المهمة بالمغرب العربي القديم، لا تزال له حيويته وأهميته.

ب- عبد الكريم النهشلي (ت 405هـ):

لا شك في أن المعلومات التي وردت في كتب التراجم عن النهشلي ليست كثيرة، بل هي شذرات يسيرة متفرّقة أوردها ابن رشيق في عمدته. ولد النهشلي في المسيلة وقضى بها أيام شبابه، ثم رحل إلى القيروان وكانت حاضرة علمٍ وأدب آنذاك، وقد ترجم له ابن رشيق في كتابه (أنموذج الزمان في شعراء القيروان) واصفًا إيّاه "أنه كان شاعرًا جيدًا عارفًا باللغة خبيرًا بأيام العرب وأشعارها" (القيرواني، أنموذج الزمان 1986، ص 171). واستظل النهشلي بدولة ملوك صنهاجة، خاصّةً باديس بن المنصور ابن المعزّ بن باديس (النهشلي 1983، ص9) الذي كان له – أيضًا - الأثر الكبير في تشكيل شخصية ابن رشيق النقدية والأدبية. والمطلع على كتابات ابن رشيق يحس أن هناك خيطًا قويًا يشدُّ بينه وبين معلمه النهشلي، إلى درجةٍ كان يعرف فيها الأولُ الصفات الخاصة بالثاني، ومن هذه الصفات "أنه كان متعففًا لا يقصد بشعره أحدًا، وأنه لم يهجُ أحدًا قط، وأنه كان يؤثر اللفظ على المعنى كثيرًا في شعره وتأليفه" (النهشلي 1983، ص9). وظلّ النهشلي يعتني بتلميذه حتى بعد رحيله إلى القيروان.

ويُعدّ النهشلي أحد أقطاب الحركة النقدية ببلاد المغرب الإسلامي بفضل كتابه "الممتع" الذي ألفه في الشعر وأحواله وفنونه، فقد كَشَفَ عن أهم مزايا الشعر وفق طبيعة العملية الإبداعية وما تتطلبه من عوامل مؤثرة كعلاقة الشاعر بالمكان والزمان. وقد أشار محقق الكتاب محمد زغلول سلام إلى "أنّ مُختار الكتاب قد أسقط فصولًا منه وإلا ما سماه مختارًا وسماه مختصرًا، كما أنه أسقط كثيرًا من السند وأسماء بعض العلماء" (النهشلي، الممتع في صنعة الشعر (د.ت)، ص 9).

وركّز النهشلي في كتابه على "القيم العربية الأصيلة التي كانت سائدة في الجاهلية وما بعدها بقليل التي أقرَّ الإسلام بعضها كالكرم والوفاء والنبل والنجدة والشجاعة...." (النهشلي، الممتع في صنعة الشعر (د.ت)، ص 5). وتحدث أيضًا عن الشعر العربي ومكانته الرفيعة في العصور الأولى وعن النثر وسبقه للشعر، وعن القرآن الكريم ورفعته وبلاغته، ويروي أيضًا نُتفًا تاريخية متفرّقة أبقاها الشعر كشاهد على ما ذهب إليه ليدلل من خلالها على الأهمية القصوى التي أعارها العربي للشعر والشاعر على السواء. وكان كتاب الممتع من المصادر الأولى التي استمد منها ابن رشيق أحكامه وآراءه، وضمنها في كتابه (العمدة) حتى أنه في بعض الأحيان كان يتبنّى هذه الآراء دون أنْ ينسبها إلى أستاذه، ولا ينكر الباحث في هذا مدى التأثر والتأثير بين الأستاذ وتلميذه، ولكنْ ليس إلى درجةٍ يصل فيها الأخذ إلى هذا الحدّ الكبير من الكم والكيف.

الفصل الثالث: كتابا العمدة والممتع بين السبق والأخذ.

ذكر الباحثُ سابقًا أن كثيرًا من الآراء والقضايا الواردة في كتاب العمدة موجودةٌ في كتاب الممتع، وصحيحٌ أن ابن رشيق كان يشرح ويفسر أحيانًا، وصحيحٌ أنه لم يكتفِ بالنقل والأخذ بل تعدّاه في مواضع متعددة إلى الشرح والتفسير، ولكنَّ من الصحيح أيضًا: أنّ ابن رشيق كان يتبنّى آراء وأفكار النهشلي بحرفيتها دون أن يشير إلى صاحبها - وهذا هو الأكثر أهمية - و أنه كان ينصُّ صراحةً على أنّ هذا الرأي أو ذاك لمعلمه النهشلي، و أنه كان يشير إلى بعض الآراء بطريقة مغايرة عن الأصل التي وردت عليه عن طريق الشرح وطرح الأمثلة. إضافةً إلى ذلك فإن الباحثَ يرجّح أن ابن رشيق كان يأخذ وينقل حرفيًا من مواضع متعددة من الجزء المفقود من الكتاب، ومن الأدلة على ذلك أنّ النهشلي في عمدته تحدث عن الشعر وقضاياه حديثًا مستفيضًا ينقصه ذكر وشرح لمصطلحات نقد الشعر التي وردت في العمدة، التي تحدث عنها ابن رشيق حديثًا طويلًا، فيمكن أن يكون نَقْلُ ابن رشيق لهذه المصطلحات والشروحات التي جاءت معها، كان من الجزء المفقود من كتاب الممتع. وإذا كان ذلك كذلك، فإنّ ابن رشيق أخذ عن الممتع كمًّا كبيرًا، فصحيحٌ أنه صرّح في مقدمة كتابه أن الكتاب هو جمع لآراء النقاد، وصحيح أنه صرح أنه أعمل خاطره وفكره وقريحة نفسه في كتابه تلافيًا للتكرار، إلا أنه من الصحيح أيضًا أن نقول: إنّه قد وقع في فخ الأخذ الحرفي غير الموثق رغم اعترافه صراحةً في مقدمة كتابه (أنه لم يكن في بعض الأحيان يسند إلى رجل معروف باسمه، أو يحيل إلى كتاب بعينه إلا الكتب المتداولة بين العلماء). فلا يعتقد الباحث - أيُّ باحث- أن كتابًا مهمًا وثريًا ككتاب الممتع ليس من الكتب المتداولة بين العلماء، أو أنه من الكتب التي تخفى على أعين جِلّةِ العلماء والنقاد آنذاك. ولا يؤمن الباحث –نسبيًا- بما آمن به علي الخذري في "أن تعويل ابن رشيق على نتيجة خاطره وقريحته هو البحث عن المغزى وراء عبارات النقاد وأقوالهم، فهو لم يشغل نفسه بالبحث عن المعنى الظاهر على السطح، ولو فعل ذلك لما قدّم لنا شيئًا يستحق اليوم أن نقف عنده، ولذلك لم يتردد في أنْ يتعامل مع نصوصهم بوصفها رموزًا وإيحاءات وإشارات خطيّة، تحتاج إلى تفسير وإعادة صياغة في قالب جديد" (خذري 2004، ص 158).

قد يكون جزءٌ مما ذكره الخذري صحيحًا، لكنّ الجزء الآخر يجدُ الباحث فيه رائحةَ طعنٍ في خاصرة النقاد الذين أخذ عنهم ابن رشيق، ويكمن الطعن في أنّ جُلَّ أفكار هؤلاء النقاد هي أفكار غير مكتملة وغير ناضجة كأفكار الجاحظ وابن قتيبة وابن المعتز وغيرهم، ولا سيما أستاذه وشيخه النهشلي المعاصر له في الزمان والمكان. فليس من كمال الفكرة الاعتقاد بذلك، لأن النقاد السابقين لابن رشيق هم جاءوا في مؤلفاتهم بالأفكار والقضايا والنظريات والمصطلحات وسبقوا إليها وعلّموها لمن لحق بهم.

ما قلتُه في ما سبق، لا يعني الانتقاص من شأن ابن رشيق الأدبي والنقدي والتجرّؤَ عليه، ولا يعني أنّه ناقلٌ بالجملة، ولا يعني أنّ ما أخذه عن النهشلي دون توثيق سرقة بالمعنى الحرفي للكلمة، لكنّ الباحث رأى أنّ من المهم بمكان إثارة التساؤلات حول ما أخذه ابن رشيق من شيخه النهشلي،

وإظهار أشكال هذا الأخذ، وبيان إلى من يعود السبق في التأليف، والسبق في ابتكار المصطلحات والحديث عن القضايا النقدية، والسبق في الاستشهاد والاستئناس بالأمثلة.

وبعد هذا وذاك، عند الباحث مجموعة من التساؤلات المهمة يحاول أن يربط بينها وأن يشارك القارئ في وضع إجابات منطقية لها وهي:

الأول: لماذا لم يُشهر بعض النقاد المحدثين سهام نقدهم نحو المؤلفات النقدية القديمة التي نقل فيها مؤلفوها وأخذوا عمّن سبقهم؟ ككتاب (كفاية الطالب) لضياء الدين بن الأثير (ت 637هـ) - مثلًا - الذي تبين "أنه في مجمله نقل عن العمدة، عدا خمس صفحات" (زناتي 2011، ص 119).

أعتقدُ أن الإجابة عن هذا السؤال تكمن في اتجاه بعض الدارسين المحدثين إلى تقديس - إن جاز التعبير- كلامَ النقاد القدماء، وخاصةً في الفترة الذهبية التي مرّ بها النقد العربي التي تمتد من بداية القرن الثالث وحتى نهاية الخامس الهجريين، فنظروا إلى مؤلفات النقاد في تلك القرون نظرة إجلال، وكأنها جاءت وما جاء قبلها ولن يجيء بعدها. ولا أنكر أنها تستحق ذلك، ولكن ليس إلى هذه الدرجة التي يمكن للدارس فيها أن يجد التكرار أو الأخذ أو النقل الحرفي في أحد هذه المؤلفات، دون الاهتمام الجاد بهذا الأمر، أو التعليق عليه بمجرد إشارات بسيطة، بحجة أنه ناقد عربي قديم له صيته الذائع في التأليف.

الثاني: لماذا ألّف ابن رشيق (قراضة الذهب) و (أنموذج الزمان)، وما طبيعة البحث النقدي الذي جاء به فيهما بعد تأليفه للعمدة وعنائه الكبير في جمع كل تلك الآراء النقدية الواردة فيه؟ أعتقدُ أنّ تأليف ابن رشيق لكتابيّ قراضة الذهب وأنموذج الزمان يعود إلى أمرين: الأول أنه جاء بهما كذيل لكتاب العمدة - وخاصة كتاب القراضة - من أجل أن يردّ فيه على من يتهمه بالسطو على آراء السابقين، ولا سيما آراء شيخه النهشلي. وإنْ كان ذلك كذلك، فإن هذه الخطوة التي يمكن أن أسميها خطوة ندم إيجابية التي أسفر عنها مؤلَّفان مهمّان أضافا إلى المكتبة النقدية الشيء الكثير، دلالة على أنه وقع في متاهات الأخذ والنقل عن غيره في كتابه العمدة.

أما الأمر الثاني، فهو الذي أشار إليه محقق كتاب (القراضة) "الشاذلي بو يحيى" في "أنّ هذا الكتاب إنما هو صورة ذهن ابن رشيق وتفكيره الشخصي وتفقهه لا في الصناعة الشعرية بل فيما هو أبعد من ذلك: في (الخلق الشعري) على حد المصطلح العصري، ذلك أن (قراضة الذهب) ليس _كما ذهب إليه الكثيرون_ رسالةً في السرقة الشعرية، إنما هو تتبع المعاني الشعرية ووجوه البديع في شعر الشعراء منذ أن اخترعها مخترعها... وكتاب الأنموذج أخذ فيه ابن رشيق يطبق مذهب العرب في الشعر ومذهبه هو في النقد على شعراء القيروان في عصره ومنهم الفحول" (القيرواني، قراضة الذهب 1972، ص 7-8).

الثالث: لماذا يتعرّض النقاد القدامى المتأخرون الى النقد اللاذع من الدارسين المحدثين بسبب ما نقلوه وأخذوه عن مؤلفات من سبقوهم؟ ولماذا يُعدّون هذا النقل اجترارًا وتكرارًا لا فائدة منه؟ ككتابيّ - مثلًا - "مقدمة في صناعة النظم والنثر" لشمس الدين النواجي (ت859 هـ) وكتاب " تحرير التحبير" لابن أبي الأصبع المصري (ت654 هـ). ولماذا يخافون التعامل بمثل هذه الطريقة مع النقاد القدامى، كابن رشيق في عمدته، وابن الأثير في كفايته مثلًا؟

أعتقدُ - كما اعتقد غيري - أن السبب في ذلك يرجع إلى فترة الجمود التي عاشها النقد في القرون المتأخرة، التي ظنّ من خلالها الدارسون المحدثون أن معظم ما جاء في متن المؤلفات آنذاك هو اجترارٌ وتكرارٌ لا فائدة فيهما، متناسين ما ورد عند المتقدمين من النقاد من مثل هذا الأخذ والنقل. ومن الأمثلة التي تدعم اعتقادي السابق كتاب (مقدمة في صناعة النظم والنثر) للنواجي، فقد تعرّض هذا الكتاب إلى النقد اللاذع، ووُصِف أنه "من الموروث الذي لا يجب إحياؤه وأنه مما نُشر وكان حقه التأخير أو الإهمال، ومن الفروع الضعيفة التي قُدمت على الأصول، لأنه من أوله إلى آخره لا يضيف جديدًا إلى ما تعارف عليه النقاد قبله في صناعة الشعر والنثر معًا، بل يكاد يكون وهو كائن تلخيصًا لآراء أكثرهم، دون أن يذكر أيًّا منهم أو يشير إليه في الموضوعات التي يطرقها...." (بكار 1984، ص 83-84).

أحترمُ هذا الرأي، لكنّي أقول: إنّ هذا الكتاب وإنْ كان تكرارًا لما جاء به الأقدمون إلّا أنّ ذلك لا يُنقصُ من قيمته، فثمة من الكتب ما تحذو فيه حذو سابقتها، وثمة من الكتب ما قد تأثر فيها أصحابها بمن تقدمهم من غير أن يلحق بها جرّاء ذلك عيبٌ أو نقص، ككتاب العمدة وما نُقل وأُخذ فيه عن الممتع، وكفاية الطالب وما أخذ فيه عن العمدة. ومن جهة أخرى، فإن النواجي أديبٌ وناقدٌ ومؤلف له مكانة عالية بين أقرانه في العصر المملوكي شعرًا ونثرًا، فله مؤلفات كثيرة وُصفت بالجيدة، منها حلبة الكُميت، والشفاء في بديع الاكتفاء، وروضة المجالسة وغبطة المجانسة، والمحجة في سرقات ابن حجة وغيرها. فلا يُعقل أن يكون مؤلّفٌ على هذا القدْر من الكفاءة الأدبية تأليفًا ونقدًا، قد ألّف كتابًا ليس له من موقف أو رأي.

ومن جهة ثالثة، فإن معظمَ الكِتاب يمثّلُ أسلوب فنّ الوصايا وتحديدًا الوصايا النقدية، وذلك من خلال أسلوبه وطريقة طرحه وألفاظ الطلب والنهي من مثل: إياك، اجعل، اعملْ، انظمْ، اطرحْ، اجتهدْ، غيّر، زِدْ، لا تخاطبْ....، فبما أنّ الوصايا النقدية في التراث الأدبي قليلة العدد، فمن الأجدر بنا عندما نجد كتابًا يمثل هذا اللون النثري أن نقوم بإحيائه كتراث نقدي.

ملخص القول: إنَ على الباحث الفاحص أن ينظر إلى كل المؤلفات النقدية القديمة نظرةً متساوية، دون تقديس لأحدها عن الآخر، ودون النظر إلى العصر الذي ينتمي إليه الناقد، أو النظر إلى ذيوع صيته أو عدمه، فالنقاد القدماء بشرٌ مثلنا يخطئون ويصيبون وينقلون ويأخذون. فلا عيب إنْ

قلنا إن ابن رشيق أخذ عن شيخه النهشلي، ولا عيب أيضًا إن قلنا إنه في كثير من المواطن كان ينقل عنه حرفيًا دون الإشارة إلى ذلك، وفي مواطن أخرى كان ينقل لكنّه يغير في الأسلوب والصياغة دون أنْ يُضيف جديدا.

الفصل الرابع: أشكال ما أخذه ابن رشيق عن النهشلي.

أولًا: ما أخذه ابن رشيق حرفيًا مع الإشارة إلى اسم النهشلي.

قال ابن رشيق: "قال عبد الكريم: عَرَضَتْ قُتيلةُ بنت النضر بن الحارث للنبي صلى الله عليه وسلم وهو يطوف، فاستوقفته وجذبت رداءه حتى انكشف منكبه، وقد كان قتل أباها، فأنشدته:

يا راكبًا أن الأثيلَ مَظِنّةٌ مِن صبح خامسة، وأنت موفق

(إلى آخر الأبيات)، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لو كنتُ سمعتُ شعرها هذا ما قتلته" (القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده 1972، ج1، ص 56).

نصَّ ابن رشيق صراحةً على أن الكلام السابق هو لعبد الكريم النهشلي (النهشلي، الممتع في صنعة الشعر 1983، ص 14)، لكنَّ هذا النقل فيه اختلافٌ بسيط في بعض الألفاظ، لا سيما في الأبيات الشعرية، ولعلّ هذا يرجع إلى عدم الدقة في النقل.

قال ابن رشيق: "وزعم أبو محمد عبد الكريم بن إبراهيم النهشلي أن أبا الطيب إنما سُمي متنبئًا لفظته" (القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده 1972، ج1، ص 75). في هذا الموضع ذكر ابن رشيق الاسم الكامل للنهشلي، وورد الكلام نفسه حرفيًا في الممتع (النهشلي، الممتع في صنعة الشعر 1983، ص 174).

قال ابن رشيق: "ومنهم من لا يهجو كفنًا ولا غيره، لما في الهجو من سوء الأثر، وقبح السمعة: كالذي يحكى عن العجاج أنه قيل له: لم لا تهجو؟ فقال: ولمَ أهجو؟ إن لنا أحسابًا تمنعنا من أن نُظلم... فقد كان في زماننا من انتحل هذا المذهب، وهو أبو محمد عبد الكريم بن إبراهيم" (القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده 1972، ج1، ص 111-112).

ورد من الاقتباس السابق حرفيًا (ومنهم من لا يهجو كفنًا ولا غيره) وهذا منطقي، لأن ابن رشيق كان يتحدث عن قضية محددة وهي الامتناع عن استخدام الهجاء في الشعر، وأعطى بعد ذلك أمثلة أخرى غير التي جاء بها النهشلي، وذيّل هذه الأمثلة بذكر اسم النهشلي كاملًا، على أنه ينتهج مثل هذا المذهب (النهشلي، الممتع في صنعة الشعر 1983، ص 215).

قال ابن رشيق: "ومرّ غيلان بن خرشة الضبي مع عبدالله بن عامر بنهر أم عبدالله الذي يشق البصرة فقال عبدالله بن عامر: ما أصلح هذا النهر لأهل هذا المصر! فقال غيلان: أجل والله أيها الأمير: يتعلم فيه العوم صبيانهم... فكره الناس من البيان مثل هذا، انقضى كلام عبد الكريم" (القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده 1972، ج1، ص 248). وردت الفقرة السابقة في الكتابين بصورة شبه حرفية، عدا زيادة أو نقص بعض الألفاظ التي لا تؤثر في المغزى والمعنى (النهشلي، الممتع في صنعة الشعر 1983، ص 191).

ثانيًا: ما أخذه ابن رشيق بالمعنى مع الإشارة إلى اسم النهشلي:

قال ابن رشيق: "وقال عبدالكريم: الشعر أربعة أصناف: شعرٌ هو خيرٌ كله، وذلك ما كان في باب الزهد، والمواعظ الحسنة، والمثل العائد على من تمثل به الخير، وما أشبه ذلك، وشعرٌ هو ظرفٌ كله، وذلك القول في الأوصاف، والنعوت، والتشبيه، وما يفتنّ به من المعاني والآداب... ويخاطب كل إنسان من حيث هو، ويأتي إليه من جهة فهمه" (القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده 1972، ج1، ص 118).لم يرد القول السابق عند النهشلي حرفيًا، بل ورد بالمعنى فقد تحدث النهشلي عن الشعر وأصنافه، وما فيه من خير وشرّ ومدح وهجاء وأخلاق وفحش، في ثلاث صفحات من الممتع (النهشلي، الممتع في صنعة الشعر 1983، ص 21-23)، ويبدو أن ابن رشيق لم يورد ذلك في عمدته حرفيًا، إنما لخّص وأوجز ما تحدث عنه النهشلي في هذا الشأن.

قال ابن رشيق: "وقال عبد الكريم يجمع أصناف الشعر أربعة: المديح، الهجاء، الحكمة، اللهو، ثم يتفرّع من كل صنف من ذلك فنون، فيكون في المديح: المراثي والافتخار والشكر، ويكون في الهجاء: الذم والعتاب... ويكون من اللهو: الغزل والطرد وصفة الخمر والمخمور" (القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده 1972، ج1، ص 123).

لم يرد هذا القول حرفيًا في الممتع، لكنه ورد فيه متناثرًا في الباب الأول من الكتاب، وباب فيمن نوّه به المدح وحطّه الهجاء (النهشلي، الممتع في صنعة الشعر 1983، ص 17-28، ص149-157). فقد تحدث فيها عن الشعر وما فيه من مديح وهجاء وحكمة ولهو، ولكن ليس بالحرفية التي وردت في العمدة.

ثالثًا: ما أخذه ابن رشيق وورد في العمدة ولم يرد في الممتع مع الإشارة إلى النهشلي:

قال ابن رشيق: "وقال عبد الكريم -وكان يؤثر اللفظ على المعنى في شعره وتأليفه-: الكلام الجزل أغنى عن المعاني اللطيفة من المعاني اللطيفة على الكلام الجزل" (القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده 1972، ج1، ص 127). لقد نصّ ابن رشيق صراحةً على أن هذا الكلام لعبد الكريم النهشلي، لكنّ هذا النص لم يرد في كتاب الممتع، ولعل ذلك يرجع إلى أن ابن رشيق كان يعرف أنّ أستاذه النهشلي يؤثر اللفظ على المعنى من خلال أشعاره ومؤلفاته، وقد يرجع أيضًا إلى أن النص المقتبس ورد في القسم المفقود من كتاب الممتع.

قال ابن رشيق: "قال عبد الكريم: قالوا السرق في الشعر ما نُقل معناه دون لفظه، وأبعد في أخذه، على أن من الناس... ولكن المختار له عندي أوسط الحالات" (القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده 1972، ج2، ص 280-281). لم يرد فيما وصلنا من كتاب الممتع أيُّ حديث للنهشلي عن قضية السرقة، فمن الممكن أن يكون قد ورد في الجزء المفقود من الكتاب.

قال ابن رشيق: "ومن كتاب عبد الكريم قالوا: حسن البلاغة أن يصور الحق في صورة الباطل، والباطل في صورة الحق" (القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده 1972، ج1، ص 247). الاقتباس السابق لم يرد في الممتع، ويعتقد الباحث أنه قد ورد في الجزء المفقود من الكتاب وذلك لقول ابن رشيق: "ومن كتاب عبد الكريم"، وعلى الأرجح أنه يقصد هنا كتاب الممتع دون غيره من مؤلفات النهشلي. ومن جهة أخرى، فقد ذكر محقق كتاب الممتع في حاشية الصفحة التي تحدث فيها النهشلي عن حسن البلاغة "أن ابن رشيق نقل عن عبد الكريم كلامًا عن حُسن البلاغة" (النهشلي، الممتع في صنعة الشعر 1983، ص 191) لكنه ليس نفس الكلام الذي ورد في الممتع.

قال ابن رشيق: "وذكر جماعة -منهم عبد الكريم بن إبراهيم النهشلي الشاعر- أنه أعطاه مع البردة مائة من الإبل، قال: وقال الأحوص يذكّر عمر بن عبد العزيز، عطية رسول الله صلى الله عليه وسلم كعبًا" (القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده 1972، ج1، ص24). هذه القصة لم ترد في كتاب الممتع، وأشار ابن رشيق إلى أنّ هذه القصة وردت عند النهشلي، مما يدلّ على أن هذه القصة أيضًا سقطت مع الجزء الذي سقط من الكتاب.

قال ابن رشيق: "ولم أرَ في هذا النوع أحسن من فصل أتى به عبد الكريم بن إبراهيم، فإنه قال: قد تختلف المقامات والأزمنة... الاستواء، وحد الاعتدال، وجود الصفة....." (القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده 1972، ج1، ص 93).

هنا يصرح ابن رشيق أن هذا القول لشيخه النهشلي لا محالة، بدليل قوله: (أحسن من فصل أتى به عبد الكريم... فإنه قال:) لكن هذا القول لم يرد في الممتع، ولعل السبب المنطقي لهذا هو ضياعه مع الجزء الذي ضاع من الكتاب.

قال ابن رشيق: "قال عبد الكريم (خسف لهم) من الخسيف، وهي البئر التي حفرت في حجارة... فجعل لهم (معاني) عورًا فتح منها أمرؤ القيس أصح بصر..." (القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده 1972، ج1، ص 94).

قال ابن رشيق: "وأنشد عبد الكريم في اعتدال الوزن:

إنما الذلفاء هيّ فلْيدعني من يلومُ

(إلى آخر الأبيات)، ثم قال: عندهم أنه ليس في هذا الشعر فضله عن إقامة الوزن، وهذه الأبيات وأشكالها داخلة في باب حُسن النظم" (القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده 1972، ج1، ص 250-251).

قال ابن رشيق: "ومما اختاره عبد الكريم وقدمه قول عمر بن أبي ربيعة:

أيها المنكّح الثريا سُهيلًا عمرك الله كيف يلتقيان

هي شامية إذا ما استقلت وسهيل إذا استقلّ يماني

يعني الثريا بنت علي بن عبدالله... ولا أدري هل هذا الرأي موافق لرأي عبد الكريم أم لا؟ (القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده 1972، ج1، ص 279) وعبارة ابن رشيق الأخيرة من هذا الاقتباس، تدل- أيضًا - على أنه لم يكن ينقل أو يأخذ فحسب بل كان يشرح ويوضح ويفسر في مواطن متعددة من الكتاب.

قال ابن رشيق: "ومن التصدير نوع سماه عبد الكريم المضادة، وأنشد للفرزدق:

أصده همومك ولا يغلبك واردها فكل واردةُ يومًا لها صدرُ (القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده 1972ج2،ص4)

قال ابن رشيق: "وسماه قوم- منهم عبد الكريم- التفصيل، وأنشد في ذلك:

بيضٌ مفارقنا أو مسعدًا أو حزينًا أو معينًا أو عاذرًا أو عذولًا (القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده 1972، ج2،ص26)

قال ابن رشيق: ورأيت بخط جماعة -منهم عبد الكريم والباغاني- من استجيد جيده ومطابقه وضحك من رديئه" (القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده 1972، ج2، ص 53).

قال ابن رشيق في الأبيات المنسوبة إلى المرار العدوي والقائل في أولها:

وهي هيفاء هضيم كشحها فخمةٌ حيث يشد المؤزرة

قال: "قال عبد الكريم هذه أملح وأشرف ما وقع فيه الوصف، وهي أشبه بنساء الملوك" (القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده 1972، ج2، ص 118).

قال ابن رشيق: "قال عبد الكريم وهذا ضد قول عقيل بن علفة المرادي" (القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده 1972، ج2، ص 128). يقصد هنا الكلام الذي قاله جرير جد عمارة، حيث قال يا بني، إذا مدحتم فلا تطيلوا الممادحة.

قال ابن رشيق "وقال آخر يصف الفيل أنشده عبد الكريم:

من يركب الفيل فهذا الفيل إن الذي يحمله محمول

على تهاويل لها تهويل كالطود إلا أنه يجولُ (القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده 1972، ج2، ص297)

لم ترد هذه الأبيات في كتاب الممتع، ولعلها وردت فيما سقط من الكتاب.

قال ابن رشيق: "ومن المعرقين في الشعر –عن عبد الكريم- نهشل بن حرّيٍّ بن ضمرة بن جابر بن قطن، ستة ليس يتوالى في بني تميم مثلهم شعرًا وشرفًا وفعالًا" (القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده 1972، ج2، ص 306).

رابعًا: ما أخذه ابن رشيق عن النهشلي حرفيًا دون توثيق:

قال ابن رشيق: "وكان الكلام كله منثورًا فاحتاجت العرب الى الغناء بمكارم أخلاقها، وطيب أعراقها، وذكر أيامها الصالحة، وأوطانها النازحة وفرسانها الأمجاد، وسمحائها الأجواد، لتهز أنفسها الى الكرم، وتدل أبناءها على حسن الشيم، فترهموا أعاريض جعلوها موازين الكلام، فلما تمّ لهم وزنه سموه شعرًا، لأنهم شعروا به أي فطنوا" (القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده 1972، ج1، ص20). لقد ورد الاقتباس السابق في كتاب الممتع (النهشلي، الممتع في صنعة الشعر 1983، ص11)، ولم يشر ابن رشيق الى أن النهشلي هو صاحب هذا الكلام، وحريٌّ بالقارئ أن يعرف أن هذا النوع من الأخذ هو أخطر الأنواع لأنه يفتقد إلى التوثيق، ولأن فيه تعدٍّ على أسبقية الوصول إلى الفكرة.

قال ابن رشيق: "كانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر، أتت القبائل فهنأتها، وصنعت الأطعمة... وكانوا لا يهنئون إلا بغلام يولد أو شاعر ينبغ فيهم، أو فرسٌ تنتج" (القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده 1972، ج1، ص65). لقد ورد القول السابق في الممتع بصورة شبه حرفية (النهشلي، الممتع في صنعة الشعر 1983، ص18)، ولم يُشر ابن رشيق إلى أن هذا الكلام للنهشلي، بل قال: (هكذا زعمت علماء العرب).

قال ابن رشيق: "قال رؤبة:

لقد خشيتُ أن تكون ساحرًا روايةً مُرًا ومرَّةً شاعرًا

فقرن الشعر أيضًا بالسحر لتلك العلة" (القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده 1972، ج1، ص 27). ورد الاقتباس السابق في كتاب الممتع حرفيًا (النهشلي، الممتع في صنعة الشعر 1983، ص20)، ولم يشر ابن رشيق إلى أن هذا الكلام لشيخه النهشلي.

قال ابن رشيق: "قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: الشعر علم قومٍ لم يكن لهم علمٌ أعلم منه" (القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده 1972، ج1، ص 27). ورد قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه في كتاب الممتع (النهشلي، الممتع في صنعة الشعر 1983، ص21)، ولم يشر ابن

رشيق إلى أن هذا القول استأنس به النهشلي في ممتعه.

قال ابن رشيق: "قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه: الشعر ميزان القوم، ورواه بعضهم الشعر ميزان القول" (القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده 1972، ج1، ص28). قول الإمام علي رضي الله عنه ورد في كتاب الممتع حرفيًا (النهشلي، الممتع في صنعة الشعر 1983، ص21) دون أن يشير ابن رشيق إلى أن النهشلي استشهد به في ممتعه.

قال ابن رشيق: "وقيل: ليس لأحد من الناس أن يطري نفسه ويمدحها في غير منافرة إلا أن يكون شاعرًا، فإن ذلك جائز له في الشعر، غير معيب عليه" (القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده 1972، ج1، ص 25). مضمون ومعنى القول السابق ورد في الممتع (النهشلي، الممتع في صنعة الشعر 1983، ص22)، ولم يشر ابن رشيق إلى صاحب هذا الكلام بل اكتفى بقوله: "وقيل".

قال ابن رشيق: "ومن فضائله أن لليونانيين، إنما كانت أشعارهم تقييد العلوم والأشياء النفسية.... وقسطاسها المستقيم (القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده 1972، ج1، ص26)، ورد مضمون الكلام السابق في الممتع (النهشلي، الممتع في صنعة الشعر 1983، ص23)، واكتفى ابن رشيق بإعادة صياغة الكلام دون إشارة إلى صاحب السّبق إلى هذا الكلام.

قال ابن رشيق: "فقرن البيان بالسحر فصاحةً منه صلى الله عليه وسلم وجعل من الشعر حكمًا، لأن السحر يخيل للإنسان ما لم يكن للطافته... وأبلغ البيانين عند العلماء الشعر بلا مرافعة" (القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده 1972، ج1، ص27). ورد في الممتع (النهشلي، الممتع في صنعة الشعر 1983، ص23) حديث النبي صلى الله عليه وسلم: "إن من البيان لسحرًا، وإن من الشعر لحكمًا" وأورده ابن رشيق مشفوعًا بشروحات وتعليقات من تأليفه.

قال ابن رشيق: أنشد بعض العلماء، ولم يذكر قائله:

الشعراءُ فاعلمن أربعة فشاعر لا يرتجى لمنفعة

وشاعرٌ ينشد وسط المجمعة وشاعرٌ آخر لا يجرى معه

وشاعرٌ يقال خمرٌ في دعه (القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده 1972، ج1، ص114)

وردت هذه الأبيات في الممتع (النهشلي، الممتع في صنعة الشعر 1983، ص25) وقد نسبها النهشلي فيه لابن الزبعري، لكن ابن رشيق اكتفى بقوله: "أنشد بعض العلماء"، وفي الوقت نفسه، لم يشر إلى أن هذه الأبيات جاء بها النهشلي في معرض حديثه عن الشعر والشعراء.

قال ابن رشيق: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت: اهجهم يعني قريشًا فوالله لَهجاؤك عليهم أشد من وقع السهام في غلس الظلام، اهجهم ومعك جبريل روح القدس... يثيهم على الشعر ويأمرهم بعمله، ويسمعه منهم" (القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده 1972، ج1، ص114). هذا الحديث الشريف ورد حرفيًا في الممتع (النهشلي، الممتع في صنعة الشعر 1983، ص28)، ولم يشر ابن رشيق إلى أن النهشلي جاء به في كتابه.

قال ابن رشيق: "قال أبو عبيدة: بيوت العرب ثلاثة: فبيت قيس في الجاهلية، وبنو فزارة ومركزه بنو بدر، وبيت ربيعة بنو شيبان ومركزه ذو الجدين، وبيت تميم بنو عبدالله بن دارم ومركزه بنو زرارة" (القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده 1972، ج2، ص192). لقد نسب النهشلي هذا القول في ممتعه إلى أبي عبيدة (النهشلي، الممتع في صنعة الشعر 1983، ص65)، وفعل ذلك مثله ابن رشيق في عمدته، لكنه لم يشر إلى أن النهشلي أورد هذا القول في كتابه.

قال ابن رشيق: "وقال أبو عمرو بن العلاء: بيت بني سعد اليوم إلى الزبرقان بن بدر من بني بهدله بن عوف بن كعب بن سعد... وليس في العرب جساس غيره" (القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده 1972ن ج2، ص192-193).

القول السابق موجود في الممتع (النهشلي، الممتع في صنعة الشعر 1983، ص65)، ونسبه النهشلي إلى شخص يدعى "أبو عمر" أما ابن رشيق فقد أورده في عمدته وتجاهل أن هذا القول جاء به قبله أستاذه النهشلي، إضافة إلى أنه نسب هذا القول إلى أبي عمرو بن العلاء.

قال ابن رشيق: "قال ابن الكلبي: كان أبي يقول: العدد من تميم في بني سعد، والبيت في بني دارم... والفرسان في شيبان" (القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده 1972، ج2، ص191). ما سبق ورد حرفيًا في الممتع (النهشلي، الممتع في صنعة الشعر 1983، ص65)، ولم يشر ابن رشيق إلى شيخه في صدر أو ذيل هذا القول.

قال ابن رشيق: "قال أبو عبيدة: ليس في العرب أربعة أخوة أنجب ولا أعد ولا أكثر فرسانًا من بني ثعلبة بن عكابة، وكان يقال له: الأغرّ... وفارس بني تميم عتيب بن الحارث بن شهاب أحد بني يربوع" (القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده 1972، ج2، ص192). نسب ابن رشيق هذا

القول إلى أبي عبيدة كما فعل من قبله شيخه النهشلي في الممتع (النهشلي، الممتع في صنعة الشعر 1983، ص66)، إلا أن الأول لم يشر إلى الثاني في السبق إلى الاستئناس بهذا القول.

قال ابن رشيق: "قال الجمحي: فارس اليمن في بني زُبيد عمرو بن معدي كرب، وشاعرها امرؤ القيس، وبيتها في كندة الأشعث... إلى عهد النبي واتصل في الإسلام" (القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده 1972، ج2، ص193). أورد النهشلي قولَ الجمحي السابق في ممتعه (النهشلي، الممتع في صنعة الشعر 1983، ص66)، وكان الأسبق للاستئناس به من ابن رشيق، إلا أن الثاني لم يشرْ إلى الأول في صدر أو ذيل هذا القول، بل إنه أيضًا بدّل الاسم الأخير لصاحب القول (الجمحي) إلى اسمه الأول (ابن سلّام).

قال ابن رشيق: "ثم أطرق ثم رفع رأسه وهو يقول:

اسقي وفودك مما أنتِ ساقيتي فابدي بكاس ابن ذي الجدين بسطام

(القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده 1972، ج2، ص220)

(إلى آخر الأبيات)، هذه الأبيات وردتْ في الممتع (النهشلي، الممتع في صنعة الشعر 1983، ص90)، ونسبها النهشلي إلى (قابوس الشاعر) يقولها في بسطام، أما ابن رشيق فقد نسبها الى النعمان وهو يشرب، إضافة إلى التغييرات التي طرأت على بعض ألفاظ هذه الأبيات، ناهيك عن أن ابن رشيق لم يشر إلى ذكر شيخه النهشلي في معرض الحديث عن هذه الأبيات.

قال ابن رشيق: "وقال أحمد بن سعد الكاتب: كان أعوج أولًا لكندة، ثم أخذته سليم، ثم صار لبني عامر، ثم لبني هلال.... وهي أخت داحس من أبيه وأمه" (القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده 1972، ج2، ص 234-235).

الاقتباس السابق نسبه ابن رشيق إلى أحمد بن سعد الكاتب، بينما نسبه النهشلي للأصمعي (النهشلي، الممتع في صنعة الشعر 1983، ص103)، أضف إلى ذلك أن ابن رشيق غيّر بعض العبارات الواردة في النص وأعاد صياغتها، فضلًا عن أنه لم يذكر اسم شيخه الذي كان له السبق في ذكر هذا القول.

قال ابن رشيق: فانتظر الفرزدق الهدية، فجاءه من عنده:

فما ترك الهاجون لي إن هجوته مُصحَفًا أراه في أديم الفرزدق

(إلى آخر الأبيات)، فلما بلغته الأبيات كفّ عما أراد وقال: لا سبيل إلى هجاء هؤلاء، ما عاش هذا العبد فيهم... وهجا رجلٌ من بني حرام الفرزدق، فجاء به قومه يقودونه إليه فقال الفرزدق:

ومن يكُ خائفًا لأذاه شعري فقد أمن الهجاء بنو حرامِ

(إلى آخر الأبيات)، وهجا الأحوص بن محمد الأنصاري رجلًا من الأنصار...

تمشي بشتمي في أكاريس مالك يشيد به كالكلب إذ ينبح النجما

(القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده 1972، ج1،ص65-66)

لقد أخذ ابن رشيق في هذا الموطن صفحتين كاملتين عن شيخه النهشلي في الممتع (النهشلي، الممتع في صنعة الشعر 1983، ص 135-138)، ولم يذكر اسم شيخه في أي جزء من هذا الأخذ.

قال ابن رشيق: "إنما قيل في الشعر: أنه يرفع من قدر الوضيع الجاهل، مثل ما يضع من قدر الشريف الكامل، وإنه أسنى مروءة الدني، وأدنى مروءة السري" (القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده 1972، ج1، ص40). ورد هذا القول حرفيًا في الممتع (النهشلي، الممتع في صنعة الشعر 1983، ص141)، ولم يشر ابن رشيق إلى ذلك.

قال ابن رشيق: "فلقيه الفرزدق فاستنشده، فلما بلغ هذه قال: جيد، أعده، فأعاده فقال: كلا والله، لقد علكهنّ من هو أشدّ لحيين منك، هذا شعر ابن المراغة" (القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده 1972، ج2، ص286). ورد هذا القول حرفيًا في الممتع (النهشلي، الممتع في صنعة الشعر 1983، ص146)، ولم يشر ابن رشيق إلى ذلك.

قال ابن رشيق: "وهكذا يروى عن جميل بن عبدالله بن معمر، أنه ما مدح أحدًا قط إلا ذويه وقراباته... فقال له الوليد: اركب لا حملت" (القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده 1972، ج1، ص84-85). ورد هذا القول حرفيًا في الممتع (النهشلي، الممتع في صنعة الشعر 1983،

ص142)، ولم يشر ابن رشيق إلى ذلك.

قال ابن رشيق: "وكانوا قد شدوا لسانه خوفًا من الهجاء، فعادهم فأطلقوه لينوح على نفسه، فصنع هذه القصيدة وعرض عليهم في فدائه ألف ناقة، فأبوا إلا قتله (القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده 1972، ج1، ص193)، ورد مضمون ومعنى الاقتباس السابق في الممتع (النهشلي، الممتع في صنعة الشعر 1983، ص168)، ولم يشر ابن رشيق إلى ذلك.

قال ابن رشيق: "وسُئل أبو عبيدة أي الرجلين أشعر: أبو نواس، أم ابن أبي عيينة؟ فقال: أنا لا أحكم بين الشعراء الأحياء، فقيل له: سبحان الله كأنّ هذا ما تبين لك! فقال: أنا ممن لم يتبين له هذا" (القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده 1972، ج1، ص76). ورد هذا القول حرفيًا في الممتع (النهشلي، الممتع في صنعة الشعر 1983، ص174)، ولم يشر ابن رشيق إلى ذلك.

الخاتمة:

درَسَ هذا البحث كتابيّ العمدة لابن رشيق، والممتع للنهشلي دراسة مقارنة، وتوصل الباحث فيه إلى ما يلي:

أولًا: يشترك ابن رشيق والنهشلي في أمور كثيرة ومتنوعة تتعلق بالثقافة والمكان والزمان والاختصاص.

ثانيًا: تبين لدى الباحث أن هناك عملية تأثر وتأثير تمت بين ابن رشيق والنهشلي من خلال المعلومات التاريخية والموضوعية والاجتماعية التي جُمعت عنهما.

ثالثًا: صرّح ابن رشيق في مقدمة كتابه أنه قد نقل عن مجموعة من النقاد القدماء كابن سلام الجمحي والجاحظ وابن قتيبة وغيرهم، إضافة الى إفادته الواسعة من شيخه النهشلي.

رابعًا: لقد أخذ ابن رشيق عن شيخه النهشلي في مواضع كثيرة تنوعت بين القضايا والمصطلحات النقدية وأحداث تاريخ الأدب والعرب والاستئناس بالحوادث والأمثلة.

خامسًا: لقد تنوعت أشكال الأخذ عند ابن رشيق من أستاذه النهشلي كالأخذ الحرفي مع الإشارة الى اسم النهشلي، والأخذ المعنوي مع الإشارة إلى اسم النهشلي، وما أخذه وورد في كتابه ولم يرد في الممتع مع الإشارة إلى اسم النهشلي، وما أخذه حرفيًا دون أي توثيق أو إشارة، والنوع الأخير هو أخطرها.

سادسًا: يجب على الباحث الفاحص أن ينظر إلى كل المؤلفات النقدية القديمة نظرة متساوية، دون تقديس لأحدها عن الآخر، ودون النظر الى العصر الذي ينتمي إليه الناقد، أو النظر إلى ذيوع صيته أو عدمه.

سابعًا: ما قاله الباحث عن ابن رشيق في أنه قد نقل حرفيًا عن شيخه دون أن يوثق، لا يعني أنه ينتقص من شأنه ولا يعني أنه سارق بالمعنى الحرفي للكلمة، لكنه رأى أن من الأهمية بمكان الإشارة إلى هذا النوع من الأخذ عند ناقد عربي قديم له صيتٌ ذائع.

المصادر والمراجع

ابن خلكان، أ. (1969). *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*. بيروت: دار صادر.

بكار، ي. (1984). *قضايا في النقد والشعر*. بيروت: دار الأندلس.

الجويني، م. (1985). *معالم في النقد الأدبي*. مصر: منشأة المعارف بالإسكندرية.

الحموي، ي. (1900). *معجم الأدباء*. القاهرة: دار المأمون.

خذري، ع. (2004). تكامل الشكل النقدي في كتاب العمدة. *مجلة التراث العربي*، 158.

الدبل، م. (2010). *المقاييس البلاغية والنقدية في قراضة الذهب لابن رشيق*. الرياض: مكتبة الملك فهد.

زناتي، أ. (2011). *دراسات تحليلية في مصادر التراث العربي*. الأردن: زهران للنشر.

السيوطي، ج. (1950). *بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة*. بيروت: دار المعرفة.

الشنتريني، ع. (1979). *الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة*. بيروت: دار الثقافة.

ضيف، ش. (1992). *عصر الدول والإمارات-ليبيا وتونس وصقلية*. القاهرة: دار المعارف.

القيرواني، ابن رشيق. (1972). *العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده*. بيروت: دار الجيل.

القيرواني، ابن رشيق. (1972). *قراضة الذهب*. تونس: الشركة التونسية للتوزيع.

القيرواني، ابن رشيق. (1986). *أنموذج الزمان*. تونس: الدار التونسية للنشر.

النهشلي، ع. ((د.ت)). *الممتع في صنعة الشعر*. مصر: منشأة المعارف بالإسكندرية.

النهشلي، ع. (1983). *الممتع في صنعة الشعر*. بيروت: دار الكتب العلمية.

References

Ibn Khalkan, a. (1969). *Notable deaths and news of the sons of time*. Beirut: Dar Sader.

Bakkar, Y. (1984). *Issues in criticism and poetry*. Beirut: Dar Al-Andalus.

Al-Juwayni, M. (1985). *Milestones in literary criticism*. Egypt: Knowledge facility in Alexandria.

Al-Hamwi, Y. (1900). *Writers' Dictionary*. Cairo: Al-Ma'moun House.

Khadri, A. (2004). *Integration of monetary fhgjk7yuhjorm in the mayor's book*. Arab Heritage Journal, 158.

Dabel, M. (2010). *The hyuRhetorical and Critical Measures in Ibn Rasheeq's Qaradah Al Thahab. Riyadh*: King Fahd Library.

Zanati, A. (2011). *Analytical studies in the sources of Arab heritage*. Jordan: Zahran Publishing.

Al-Suyuti, c. (1950). *In order to understand the layers of linguists and grammarians*. Beirut: Dar al-Ma'rifah.

Chanterini, p. (1979). *Ammunition in the virtues of the people of the island*. Beirut: House of Culture.

guest, sh. (1992). The Age of States and Emirates - Libya, Tunisia and Sicily. Cairo: Dar al-Maarif.

Al-Qayrawani, Ibn Rasheeq. (1972). *Mayor in the virtues of poetry, etiquette and criticism*. Beirut: Dar Al-Jeel.

Al-Qayrawani, Ibn Rasheeq. (1972). *gold scrap*. Tunisia: Tunisian Distribution Company.

Al-Qayrawani, Ibn Rasheeq. (1986). *time model*. Tunisia: The Tunisian Publishing House.

Al-Nahshali, A. ((D.T)). *Fun in making hair. Egypt*: Knowledge facility in Alexandria.

Al-Nahshali, A. (1983). *Fun in making hair*. Beirut: Scientific Books House.